الباب
الثالث
عيدة الأطفال
وتذكرة العلاج

كل محبوب يَغَارُ!

رأى الأستاذ العقاد - رحمة الله عليه - ،طفلة ، فوقف عندها يضاحكها، واستطاع أن يجلب إليها الفرح والسرور ، فجعلت تضحك حتى اهتزت من شدة الضحك!

ثم أراد أن يقبلها فتمنّعت الطفلة ؛ فما كان من «**الأستاذ العقاد**» إلا أن رفع «**مرآة**» إلى وجه الطفلة ، فرأت صورتها فى المرآة!

وعند ذلك خيرها العقاد بين أن يقبلها ، أو يقبل الصورة التى فى المرآة ، وقد ظنت أن الصورة التى فى المرآة ما هى إلا طفلة حقيقية أخرى ؛ فسمحت له بالتقبيل!!.. ويعرض الأستاذ العقاد علينا هذه القصة فى مقطوعة شعرية لطيفة، فيقول:

ما كان أملحَ طفلةً ... من غيرِ شيءٍ تَخْجَلُ
ضاحكْتُها فتمايَلَتْ ... وشعورُها تتهدّلُ
فرجوتُ منها قُبلةً ... فأبت كمن يتدلّلُ
فرفعْت مرآةً لها ... فَتَلَفَّتَتْ تتأمّلُ
قلت : انظرى فى وجهها ... أفأنت أم هى أجملُ؟!
قالت ...وفيها غضبةٌ ... أنا بالمَلاحةِ أَمْثَلُ[1]
عطفت علىّ وكل محـ ... ـبوب يَغَارُ فيَسْهلُ!

ومادام كل محبوب يغار ، وأطفالنا أحب الناس إلينا ... ومادامت الغَيرة تغزو نفوسهم فى مراحل طفولتهم ، فإن من الواجب - وهم نصف الحاضر وكل المستقبل - ألا نغفل غيرتهم بعد أن تناولنا غيرة النساء والرجال لنصل بهم إلى حد الاعتدال .

غيرة الأطفال فى مرحلة ما قبل المدرسة

إذا كان الرجل فى حقيقته ما هو إلا طفل صغير ، فمن الأهمية بمكان أن نتناول «**الغيرة فى الأطفال**» ، فما أكثر التساؤلات عن بدايتها ، ومظاهرها ، وأسبابها، وطريقة علاجها ، فقد تصاحب الغيرة الطفل فى مراحل حياته وتنغص عليه ، وعلى الآخرين حياتهم إذا لم تعالَج بحكمة واقتدار!

(١) أنا جديرة بلقب المليحة الحسناء أكثر منها .

ومن هنا كانت «**الحياة الانفعالية والاجتماعية**» لطفل «**ما قبل المدرسة**» جديرة بمعرفة أهم ما تتميز به الناحية الانفعالية ، والاجتماعية ، حيث يتجلى فيها **العنف ، وشدة التأثر ، وعدم الاستقرار!**

*** فنوبات الغضب تصل إلى حد التشنج والعدوان!**

*** والخوف إلى حد الذعر!**

*** والغَيرة إلى حد التحطيم!**

*** والحزن إلى حد الاكتئاب!**

*** والفرح إلى حد الابتهاج والنشوة!**

ثم التذبذب السريع بين هذه الحالات ، من كائن يعيش في دقائق حياة لا نهاية لها من الألم! ثم فجأة تكون هذه الآلام قد غسلت ، وحلت محلها سعادة لا نهاية لها ، وكأن شيئا لم يكن!

كل هذه مظاهر عادية نلاحظها على طفل هذه المرحلة! والغيرة تكمُن وراء كثير من تلك الأعراض التى تظهر على كثير من الأبناء والبنات.

ويعيش الآباء والأمهات هذه المشكلات ولسان حالهم يردد مع الشاعر العربى!

وإنما أولادنا بيننا ... أكبادنا تمشى على الأرض

لو مَرَّتِ الريحُ على بعضِهم ... لامتنعت عينى عن الغمض

وقد يتملكنا العجب ، ونصاب بالحيرة من جراء ما يحدث لأطفالنا ، وما يحدث منهم من تخريب وعناد!

ولكن إذا عرف السبب بطل العجب!

قد يظهر التخريب نتيجة لعوامل انفعالية مكبوتة ، كما تظهر الأعراض العصبية كقضم الأظافر ، أو التبول اللاإرادى ، أو غير ذلك....

وعلى الآباء والأمهات أن يفكروا في القوة الدافعة وراء هذا التخريب!

*** فقد يكون من وراء ذلك غَيْرَةٌ جامحةٌ ، أو كراهيةُ السلطة الضاغطة غير المعقولة ، أو الشعور بالنقص ، أو غير ذلك.**

وبذلك يصير التخريب مظهرا من مظاهر الانتقام ، أو إثبات الذات.

* والغيرة – كما علمنا – ليست سلوكا ظاهريا ، وإنما هى :

حالة انفعالية يشعر بها الفرد ، ولها مظاهر خارجية يمكن الاستدلال منها أحيانا على الشعور الداخلى.

ولكن في غالبِ الأحيان لا يكون هذا سهلا ؛ لأن الشخص فى العادة يحاول أن يخفى الغيرة بإخفاء مظاهرها قدر جهده!

* من هنا كان علينا أن نستشف ما بالداحل من خلال مظاهر الغيرة وشواهدها قبل أن تتمكن وتعصف بصاحبها وبمن حوله!

ترى...ماذا يثير غيرتهم ، وقلقهم؟

من مثيرات القلق لدى الطفل

* ومن مثيرات القلق عند الطفل ولادة طفل جديد يهدد مركزه عند أبويه.

ويرى «الدكتور محمد عماد الدين إسماعيل»[1] أن **الغيرة مظهر انفعالى يوضح مدى الحساسية التى يكون عليها طفل هذه المرحلة من حيث علاقته العاطفية بوالديه .**

متى تبدو الغيرة لدى الطفل بوضوح؟

وتبدو الغيرة بوضوح فى المناسبات التى يتهدد فيها الطفل منافس فى هذه العلاقة ، أو يزعزع مكانته منها ، كما يحدث مثلا : عند دخول طفل زائر يستحوذ على انتباه الوالدين أو أحدهما.

أو عند ولادة شقيق جديد فى الأسرة.

أو عند وجود شقيق أكبر يتمتع بامتيازات خاصة من الوالدين ، أو غير ذلك من المواقف المثيرة لهذا التهديد المتوهّم!

*** السلوك التلقائى فى مثل هذه الحالات:**

إن السلوك التلقائى فى مثل هذه الحالات هو :

العدوان على مصدر هذه الغيرة ، أو ذلك الدخيل المغتصب ، ومحاولة إبعاده عن هذه المكانة.

فإذا كان هذا الدخيل زائرا، وأخذته الأم مثلا ، أو وضعته على حجرها ؛ فإن الطفل فى هذه الحالة قد يحاول إبعاده بشتى الطرق ، كأن يجذبه ، أو يحاول

(١) عالم المعرفة . الأطفال مرآة المجتمع . د. محمد عماد إسماعيل.

أن يزاحمه ، أو يبكى طالبا منها استبعاده ، وهكذا.،

* أما إذا كان لهذا الدخيل مكان دائم فى الأسرة ، فإن السلوك العدوانى قد يتخذ مظاهر أكثر حدة مثل **استخدام العضّ ، والضرب ، والقرص ، وإتلاف الممتلكات واللُعب**.

* وقد يصل العدوان فى غيبة الأبوين إلى درجة قد تكون أكثر خطورة من ذلك!

*** الوسيلة المثلى لتجنيب الطفل الشعور بالغيرة:**

ما أكثر «**الوسائل**» التى يتخذها الآباء إزاء غَيْرَة الأطفال بعضهم من بعض!

وقد يكون لبعض تلك «الوسائل» آثار ضارة تثير الاهتمام ، وتشغل بال الآباء والأمهات ! ، وتحتاج إلى علاج أمثل!

فإذا ما حيل بين الصغير ، وبين العدوان على من هو أصغر منه ، أو إذا ما عوقب بشدة على مثل ذلك السلوك العدوانى ، فقد تتخذ الغيرة مظهرا آخر ، وغالبا ما يكون ذلك المظهر نكوصيا[1] ؛ أى : سلوكا يعود بالطفل إلى مرحلة سابقة:

كأن يلجأ الطفل إلى مص الأصابع.

أو التبول اللاإرادى بعد أن يكون قد ضبط عملية التبول.

أو الحبْو بعد أن يكون قد تعلم المشى.

أو التهتهة بعد أن يكون قد تعلم الكلام!

كأنما يتخذ الطفل من غريمه نموذجا يُحتَذَى فى الحصول على اهتمام الوالدين!

*على أن الوالدين لا يتقبلان غالبا مثل هذه الأساليب من الطفل ، بل يشجبانها ، ويسخران منها ، ويحقّران من شأنه!

* وقد يعاقبانه إذا لم يُقلع عن مثل هذه الأساليب ، فإذا ما استمر الموقف على هذا النحو ، واشتد بالطفل قلقه على مركزه عند أبويه ، ولم يجد ما يعوضه عن ذلك أو ينجو به من هذه الأزمة فقد يحول الغيرة إلى أساليب استعطافية أشد خطورة:

---

(١) يقال : نكص نكوصا : رجع الى الخلف . والمراد أنه يسلك سلوكا لا يناسب سنه بل يماثل من هم أصغر منه سنا .

كالقيء ، والاضطرابات المعوية مثلا ، أو العُزُوف عن الطعام ، والضمور ، وفقد الوزن ، وأحيانا الاكتئاب.

*على أن هذه الحالات المتطورة لا تشكل فى الواقع إلا نسبة ضئيلة من حالات الغيرة عند الأطفال فى هذه المرحلة!

* وفى هذه الحالة لابد من أن يتخذ الأبوان إجراء سريعا لعلاج الطفل بالطرق الفنية المتخصصة.

*** زيادة الغيرة عند البنات:**

* ونظرا لما قد يتمتع به الذكور فى بعض المجتمعات عن الإناث ، فإن حالات الغيرة قد تزداد عند البنات عنها عند الأولاد ، وذلك لما يتمتع به الذكور فى أغلب الأحيان من امتيازات تتمثل فى التفضيل ، والاهتمام والحصول على قدر أكبر من الحرية والرعاية.

فإذا ترتب على ذلك شعور البنت بأنها الأضعف ، أو الأقل خطورة عند الوالد ، فقد يثير هذا غيرتها فى الوقت الذى تقل فيه احتمالات شعور الولد بنفس الشيء.

*** ازدياد حالات الغيرة فى الأسر الصغيرة!**

ومن ناحية أخرى قد تزيد حالات الغيرة فى الأسر الصغيرة ، التى يتركز فيها الاهتمام بالطفل من ناحيه الوالدين فقط.

فى حين تقل هذه الحالات فى الأسر الكبيرة التى يجد فيها الطفل من يعوضه عن اهتمام الأبوين من أخوال أو أعمام أو أجداد ، أو حتى إخوة كبار.

*** قلة مظاهر الغيرة بين الإخوة الكبار:**

كذلك قد تقل مظاهر الغيرة بين الإخوة الكبار إذا زاد الفارق الزمنى بحيث يمكن أن ينظر الطفل الأكبر إلى نفسه كواحد من أعضاء الأسرة الذين يمكن أن يشاركوا فى رعاية المولود الجديد.

*** خير وسيلة لتجنيب الطفل الشعور بالغيرة:**

وخير وسيلة لتجنيب الطفل الشعور بالغيرة هى :

أن نشركه معنا فى رعاية المولود الجديد. ، بما يتناسب مع قدرته فى هذا الصدد.

وسوف يجد فى ذلك تقديرا له ، بدلا من تحول الانتباه عنه ، كما أنه يتفق

وميله إلى المشاركة فى أعمال الكبار!

فإذا ما مرت هذه المرحلة بسلام واجهتنا مرحلة جديدة خارج نطاق الأسرة تشتد فيها المنافسة ، وتعقد فيها المسابقات والمباريات ! إنها مرحلة التربية والتعليم قبل التعليم الجامعى بدءاً من رياض الأطفال...

المنافسة فى فصول الدراسة

* قال المربون : المنافسة تُحرِّك نفوس التلاميذ ، وتزيل عنهم الفتور والجمود وتجعل الفصل أشبه بالمياه فى تدافعها ، واختلاف مذاهبها.

* وقد يسأل سائل عن المنافسة ، وحكمتها ، وهل من الخير إطلاق غريزتها من كل قيد فى شئون التعليم؟

هل يجمل بالمعلِّم أن يؤكدها ، ويوقدها بالمداولة بين الجزاء والعقاب ، وبين إزجاء المدح وتوجيه اللوم؟!

أم يكون من الخير تجاهلها ، والإغضاء عنها ؟! أو من الخير أن نتحاشى إثارتها ، ونحاول كبحها حتى نستطيع آخر الأمر إزالتها؟!

للناس مذاهب شتى فى المنافسة ، فهى فى بعض البلاد عريقة متأصلة فى حياة المدارس ، وهى فى بعض البلاد الأخرى بغيضة ، وتحاول المدارس فيها أن تقضى عليها!

ومن الواضح أن التنافس غريزة قوية طبيعية لا يمكن القضاء عليها ، وكل ما يرجى فى ميدان التربية أن يستفاد منها حتى تكون أداة للخير والتقدم.

«وهى فيما يبدو غريزة نافعة ، فوق أنها طبيعية ؛ لأن الصغار ما يزالون فى طور النمو ، ووظيفة التربية هى : البناء والتكوين(*) ومن السهل أن نتبين ذلك فى تصايحهم فى مرحهم ولهوهم.

وِما مبارياتهم فى الألعاب ، ومنافساتهم فى إظهار براعتهم فيها إلا مزيج من دافعي التنافس والتعاون ، يبدو ذلك فى روح الجماعة ممتزجا بروح التميز والغلبة.

تنافس الكبار:

وليس الكبار كذلك بمعصومين من روح التنافس ، فإنهم يتنافسون فى

* فن التعليم : تأليف جلبرت هايت . ترجمة محمد فريد أبو حديد.

ميدان الجد ، والتجارة والسياسة ، ودنيا الاقتصاد والمال ، وما إليها.

كما أنهم يتنافسون فى مظاهر الحياة كالمسكن والملبس والتأنق فى اقتناء الرياش والطرف والسيارات وغيرها.

وهم يتسابقون فى الإعلان عن أنفسهم ، وفى الظهور فى المجامع والمشاهد، ويبذلون فى سبيل الظهور أموالا طائلة ، وأوقات نفيسة.

هذا ، والناشىء الصغير لا يعرف نفسه ، ولا يستطيع أن يتبين مقدرته وموهبته ، ولايكاد يعرف ما يستطيع وما لا يستطيع.

وهو ما يزال يتلمس طريقه على غير هدى ، لا يدرى له وجهةً يتجه إليها ، ولكنه يبنى نفسه يوما بعد يوم ، ويحدد شخصيته فى موقف بعد موقف ؛ وذلك بأن يميز نفسه عن سواه ، ويتعرف وجوه الفرق بينه وبين الآخرين.

ولايمكن أن تظهر الفروق بين الناشئين فى أول الأمر جلية واضحة فى دقائقها وخصائصها ، بل تبدو أولا فى مقدارها وقوتها فهذا فتى أسرع جريا من زميله ، وذاك أعلى وثبا ، أو أسرع عوما.

وقد يكون التميز بين الناشئين ببعض القدرة الفنية ، كأن يكون أحدهم أنبغ فى رسم الصور الكاريكاتورية ، أو إلقاء القصص الخيالية أو كتابة الأزجال الفكهة؛ أو الخطابة والإلقاء.

المنافسة خارج فصول الدراسة

والمنافسة بين الناشئين في خارج المدرسة تؤدى أحيانا إلى كثير من الخير ، أو كثير من الضرر ، فقد تقوى الإقدام والعزيمة والجد ، وقد تدفع إلى الغرور ، والأنانية والحسد والغيرة الممقوتة!

فلا غنى عن الاستفادة من المنافسة فى المدارس ، على أن يؤخذ بزمامها ، وتوجه إلى الخير.

ولقد سرنى ما قامت به إحدى المدرسات فى إحدى المدارس الإعدادية من تخصيص جائزة للمتفوقة فى فصلها قامت بالاشتراك فيها مدرسة الفصل مع تلميذاتها ، وفى حفل مناسب قام الفصل بتكريم الأولى وسط مظاهر الإعجاب ، والاعتراف بالفضل لأهله!

وفى حدود الاعتدال ، ومع الاحتياط والتحفظ ، حتى لاينتج منها إلا ما هو

حميد في الخصال ، أو حافز على الجد فى الدراسة.

فالحذَر الحذَر من أن تنفلت المنافسة من زمامها ، أو تؤدى إلى بذر التباغض والتنافر والمرارة فى النفوس!

وعلى المعلم أن يستخدم «**روح التنافس**» فى صور شتى ليبعث قوى التلاميذ من مكامنها ، ويحفزها على النشاط ، وهو مطالب فى كل الأحوال التى يثير فيها روح التنافس بأن يكون يقظا فَطِناً حتى لا تنقلب المنافسة إلى نزعة بغيضة عليلة ، وحتى لا تتحول الرغبة فى التَفوق إلى سخيمة[1] حاقدة ، تملأ القلب غلا ، وتنغص على التلميذ حياته ، ويجب الامتناع عن الموازنة التى تقلل من قيمة بعضهم ، وعلى المعلم أن يكون يقظا عند ظهور بوادر الغيرة.

فإذا ما بدا للمعلم شيء من بوادر هذا التحول السيئ سارع إلى كبحه ، ثم رده إلى روح التعاون السمح!

من مثيرات الغيرة التفرقة بين الأبناء

إن التمييز بين الأبناء وغيرهم مما يثير الحقد فى النفوس ويشعل نيران الغيرة الممقوتة!

فقد أمرنا الإسلام بالعدل، ونهانا عن الظلم ، فعن النعمان بن بشير – رضى الله عنهما – أن أباه أتى به إلى الرسول ﷺ فقال:

إنى نَحَلْتُ هذا غلاماً [2] كان لى.

فقال رسول الله ﷺ: «**أفعلت هذا بولدك كُلّهم؟**»

فقال : لا.

قال : «**اتقوا اللهَ واعدِلُوا فى أولادِكم**» فرجع أبى فرد تلك الصفقة.

[متفق عليه]

---

(١) السخيمة : الضغينة والحقد، يقال : سللت سخيمته باللطف والتراضى .

(٢) نحلت : منحت وأعطيت . وغلاما : عبدا مملوكا.

استشارة! ... وتذكرة علاج لطفل غيور

قالت يا أبت : إن حفيدك شديد الغيرة ... فهل له عندك من علاج وقد وهبت عمرك للتربية والتعليم؟

قلت يا ابنتى : إن الغيرة فى حد ذاتها تعتبر خوفا من فقدان حب الوالدين وعطفهما!

وقد ظهرت بوادرها منذ تحولت عنه أنت وأبوه إلى وليدكما الثانى!

لقد أحس بأن هناك إنسانا آخر أهم منه عند الوالدين وهو الذى كان يملأ عليكما حياتكما ...وكان قرة عين لك ولأبيه ... البيت مملكته وحده بلا منازع ... وله كل العطف ...وكل الحنان!

وبين غمضة عين وانتباهتها ... ويلا مقدمات وجد من يحتل مكانه ومكانته عندك وعند أبيه!

من هنا كان خوفه ...وكانت غيرته!

ولا يكفى يا بنيتى أن تظهرى تعجبك من غيرته التى تسيطر على تصرفاته .. فذلك أمر طبيعى.

إن عليك أن تفكرى جيدا فى سبب هذه الغيرة...فربما أسهمت أنت وأبوه فى بذر بذور الغيرة فى نفسه بلا إرادة ، ودون انتباه منكما...

إن توزيع الاهتمامات والابتسامات والمداعبات ، والهدايا فى غاية الأهمية ، وحذار- أن تقع عينه منكما على ما يشعره بالدُّونيّة!

إن الغيرة تُطل برأسها مهددة متوعدة ... محذرة منذرة....عندما يجد الطفل أن هناك من يسرق منه التفات الوالدين منه، واهتمامهما به ؛ وعندئذ نراه يدافع عن كيانه ...عن وجوده .. يصرخ ...يضرب المولود الجديد!

ويَهُبّ الأبوان للدفاع عن الأضعف بوسائلهما ...فقد يحذّران هذا الغيور .... وقد يصرخان فى وجهه ... وقد يعاقبانه .... ويزداد الطين بلّة . وهنا يزداد الموقف تأزما ! ، ويجد الطفل الغيور نفسه عاجزا، فلا يملك من وسائل الدفاع إلا التعبير عن غيرته بالتبول اللاإرادى ليلا.... ويبتل الفراش ... وتصرخ الأم!

وما درت أنها كانت السبب وراء ما حدث!

لابد أن يحس الطفل الغيور بالثقة والاطمئنان!!

لابد أن يتفادى الأبوان كل المثيرات التى تبعث على الغيرة!!

إن توزيع العطف ... وتوزيع الابتسامات ... ورعاية العدالة والمساواة ... من الأهمية بمكان!

وحذار من المقارنة بين الصغير والكبير ... فإنها أمر جدٌّ خطير ؛ فليس أدعى لاشتعال نيران الغيرة بين الإخوة من إحساس أحدهما أنَ الآخر يستمتع برعاية لا يلقاها هو! ، وأن الآخر يتميز عليه!

وأول خُطوة على طريق العلاج أن نعترف بأن من حق الطفل الغيور أن يغار على ما افتقده .. وأن نعدّل من سلوكنا فلا تقع عينه منا على ما يثيره ...أو يزعزع ثقته واطمئنانه حتى تعود إليه سعادته .. علينا أن نحترم ملكيته الخاصة!

وعلينا أن نعى جيدا أن الغيرة عندما تزحف إلى نفس الطفل ، فإنها تسلبه سعادته .. تنغص عليه حياته .. يصبح خلقا جديدا .. يحتاج إلى علاج ورفق!

إن معاقبة الطفل الغيور لاتؤدى إلا إلى زيادة حدة الغيرة .. التمسى له العذر.. وكلما أثار غضبك قولى كما قال الشاعر:

*** لعل له عذرا وأنت تلوم!! ***

فلتسمح الأم لطفلها الغيور بمداعبة المولود تحت إشرافها....

ولْتغمره بحبها .. ولتقدم له الهدايا ليشرك معه أخاه فيها .. على أن يكون لكل منهما هديته الخاصة .. وليقدمها هو بنفسه إلى أخيه ، فذلك أدعى إلى شفائه مما نعانيه!

إن الإحساس بالأمان والاطمئنان ... يقضى على الغيرة فى نفس الإنسان!

قالت : يا أبتِ منك نستفيد ، ونُفيد ... فهل لديك مزيد؟

قلت : اسألى ...وأنا أمدك بكل جديد!

* * * * *

خاتمة اعرف نفسك

أَقْبِلْ على النفسِ واستكمل فَضائلَها

فـأنت بالنفس لا بالجـسم إنسـان

أنت تسأل وعلم النفس يجيب (*)

[عشرة أسئلة]

س١ : أهناك من لا يشعر بالغيرة؟

ج – ليس منا من لا يشعر بالغيرة فى وقت ما ، ولكن هذا الشعور قد يكون خفيا، وقد يكون حادا ، وقد يتعرض بعض الناس لهذا الشعور أكثر من غيرهم ؛ وكل محبوب يغار.

س٢ : مم ينتج هذا الشعور؟

ج – هو شعور مؤلم ينتج عادة من خيبة الشخص فى الحصول على أمر محبوب ، كشخص ، أو مركز ، أو قوة ، أو مال ، ونجاح شخص آخر فى الحصول عليه.

س٣ : ما طبيعة هذا الشعور؟

ج – هو شعور مركب من حب التملك ، والشعور بالغضب حين يقف عائق مّا دون تحقيق غاية علق عليها الآمال ، حيث يشعر بعدم حيازته ، أو بعدم قدرته على حيازة ما ناله منافسه ، فيشعر بالخيبة والضيعة ، والغيظ من نفسه ، أو ممن تفوق عليه ، أو منهما معا.

س٤ : ما مظاهر الغيرة؟

ج – مظاهرها متعددة يختلف بعضها عن بعض . وحيث إنها انفعال مركب من غضب وحب تملك ، وشعور بالنقص ، فإن من مظاهرها **الغضب** بمظاهره المختلفة من ضرب ، أو سب ، أو هجاء ، أو تشهير ، أو نقد ، أو مضايقة ، أو تخريب أو ثورة ، أو عصيان ، أو ما يشبه ذلك.

ومن مظاهرها الميل للصمت ، أو التهجم ، أو الابتعاد ، والانزواء أو الإضراب عن الأكل ، أو فقد الشهية ، أو التسليم ، أو النكوص ، أو الشعور بالخجل ، أو شدة الحساسية إلى غير ذلك من **مظاهر** الشعور بالنقص.

وقد تبدو الغيرة فى محاولة الطفل الحصول على ما فقده بمختلف أساليب التحايل.

ومن هذا النوع أن يقوم الأولاد أحيانا بتقبيل المولود ، وملاحقته حتى يحتفظ الأكبر بمركزه عند أمه.

(*) أسس الصحة النفسية للدكتور عبدالعزيز القوصى : بتصرف .

وبعض الأولاد يتخلقون بأحسن الخلق حتى يرضوا الكبار الذين بدءوا ينصرفون عنهم ، أو يميلون لغيرهم.

وقد يكون السلوك تعويضا للشعور بالنقص، وذلك بمحاولة الظهور بمختلف الأساليب.

وكثيرا ما يكون للغيرة مظاهر جسمانية ، كنقص الوزن ، والصداع والشعور بالتعب.

س٥ : علام يدل ذلك التنوع الكبير فى أساليب الغيرة؟

ج – يدل هذا التنوع الكبير فى أساليب الغيرة من سلوك سلبى إلى إيجابى ، ومن سلوك ردىء إلى سلوك طيب – على أن كشف الغيرة أمر صعب ، ويزيد من صعوبته كبتها أو تحويلها ؛ فمظاهر الغيرة بدلا من أن تتجه إلى المولود قد تتجه نحو أى شخص آخر فى المنزل.

س٦ : هل للغيرة علاقة بالثقة؟

ج – نعم ، فكل حالة من حالات الغيرة تتضمن درجة من ضعف ثقة المرء من حيث مركزه فى البيئة ويعبر عن هذا بطريقة أخرى وهى ضعف ثقة المرء بالبيئة.

فإذا توفرت الثقة بين الزوجين ، قل احتمال ظهور الغيرة بينهما . كذلك الأمر إذا كان المرء شديد الثقة بنفسه.

ولهذا نجد أن الموقف الواحد يؤدى مع بعض الأزواج إلى غيرة شديدة بينما يؤدى مع آخرين إلى غيرة خفيفة أو إلى لا شيء!

فكأن نوعًا من الخوف الاجتماعى ، أو من قلة الثقة يكون عاملا مساعدا على ظهور الغيرة فى الموقف المناسب.

فالنقص الناشيء من موقف الغير نحو الشخص ، وضعف الثقة بالنفس يجعل الشخص مهيأ للشعور بالغيرة ، وينطبق ذلك على جميع العلاقات بين الكبار والصغار أو بين الرؤساء ومرءسيهم أو بين الطبقات الاجتماعية المختلفة ، أو بين الأفراد ، والحكومات.

س٧: ما أقسى أنواع الغيرة؟

ج – أقسى أنواع الغيرة هو ما ينشأ عن شعور باالنقص ، مصحوب بعدم إمكان التغلب عليه ، كنقص فى الجمال ، أو نقص فى القدرة الجسمية .. أو الحسية ، أو العقلية.

لهذا نجد أن المعرضين للغيرة معرضون للشعور بالنقص ، كما أن المعرضين للشعور بالنقص معرضون أيضا للشعور الشديد بالغيرة ، وتكوّن كل من الغيرة والشعور بالنقص حلقة متصلة الأجزاء يؤثر كل جزء منها فى الآخر.

س٨ : كيف تنشأ الغيرة؟

ج – لعل أهم أسباب الغيرة أن يشعر الشخص بحق فى امتياز معين (**اجتماعى فى**

العادة) ، أو أن يحصل عليه بالفعل ، ثم يفقده كله ، أو يفقد جزءاً منه ؛ ليحصل عليه شخص آخر.

فالذى يشعر بأنه يستحق شهرة معينة ، ولا يحصل هو عليها ؛ وإنما يتمتع بها شخص آخر – يشعر بالغيرة.

والاستعداد للغيرة فى الكبار ينشأ فى سنى الطفولة الأولى ، وتظهر الغيرة فى حياة صغار الأطفال فى سنواتهم الخمس الأولى عن طريق المصادفة ، أو عن طريق التنشيط المقصود من الكبار المهيمنين عليهم.

ويلاحظ أن الطفل فى أول حياته تجاب له عادة كل طلباته ، ويستدعى فى العادة انتباه الجميع ، ويسلم بعد مدة قصيرة بأن كل شىء له ، وكل جهد له ، وكل انتباه له.

ولكن الذى قد يحدث هو أن العناية التى كانت تستغرق كل جهد الكبار قد تنحسر عنه فجأة ، أو بالتدريج كلما نما.

وقد تتجه هذه العناية إلى مولود آخر ، أو إلى شخص آخر فى الأسرة.

هذا التغير قد يترتب عليه فقد الطفل ثقته ببيئته ، ولا سيما بأمه ، وفقده الثقة بنفسه تبعا لذلك ، إذ قد يشعر بأنه غير مرغوب فيه!

وبذلك يبدأ شعوره بالقلق ، وشعوره بالكراهية لبيئته ، والميل للانتقام منها ، أو الابتعاد عنها ، أو شعوره بالنزوع إلى سلوك يترتب عليه جلب العناية إليه مرة أخرى.

كالبكاء أو التبول اللإرادى ، أو المرض.

وكلما كبرت الامتيازات التى تعطى لطفل مّا ، زادت الغيرة عند إنقاصها منه ، وإعطائها لطفل آخر.

ولذلك كان الطفل الذى يتمتع بامتياز معين ، هو أكثر الناس استعداداً للشعور بالغيرة ، وذلك كالطفل الأول ، أو الأخير ، أو الوحيد ، أو الذكر الأول ، أو من يشبه ذلك من الأطفال الذين يحتلون مركزا يعطيهم فرصة التمتع بامتياز واضح.

كذلك يغار الطفل أحيانا إذا وجهت الأم إلى والده عناية فائقة ، وذلك لأن الطفل فى سنواته الأولى كان يتمتع – كما يبدو له – بعناية أمه كلها ، ثم يلحظ أن الوالد يأخذ كثيرا من هذه العناية ، فتبدو عليه علامات الغيرة واضحة ، أو غير واضحة.

ويحدث أحيانا أن يتغيب الوالد عن المنزل مدة طويلة ، وبمجرد عودته تنصرف الأم إليه، وتنشغل به عن ولدها ، فيغار الطفل ، والغيرة من الأب سببها أنه ينازع الطفل المركز الذى يرغب فيه لنفسه عند الأم.

والسبب فى أن غيرة الأخ من أخيه أكثر ظهورا من غيرته من أبيه يرجع إلى الكبت الناشئ من التقاليد الاجتماعية ، والصراع بين حب الوالد (الذى يطعم ويكسو) من ناحية، والغيرة منه من ناحية أخرى.

ويمكن أن تدخل الغيرة من الوالد تحت النوع الناتج عن الشعور بالنقص المصحوب بشعور بعدم إمكان التغلب عليه ، والعجيب أن بعض الآباء يغارون من طفلهم حين تنصرف إليه الأم عن الوالد ، وتشغل بوليدها!

وتحدث الغيرة أيضا من الموازنة الصريحة أو الضمنية.

ويقصد بالموازنة الضمنية أن الموقف والجو نفسه يوحى بالموازنة ، وبتفضيل واحد على الآخر.

وهذه الموازنات تؤدى فى المنزل ، أو فى المدرسة إلى الإشعار بالنقص ، وإضعاف الثقة بالنفس لدرجة تجعل الشخص عرضة لهذا الشعور.

وتقوم الموازنات عادة حول جمال الخلقة ، أو القدرة العقلية ، أو القدرة الاجتماعية ، أو ما إلى ذلك مما قد لا يجد الطفل لنفسه حيلة فى التغلب عليه.

س٩ : علام دلت دراسة حالات الغيرة؟

ج – تدل دراسة الحالات على أن كثيرا من الحالات الشاذة التى تتصف بالقلق ، والاضطراب الجنسى ، والتعرض للغيرة الحادة يرجع ما بها من اضطراب إلى الغيرة مما يلمسونه من المواقف الجنسية بين الوالدين.

وهذا يحدث بنوع خاص عند الأطفال الذين ينامون مع أمهاتهم ، والذين يتاح لهم أن يلحظوا – أحيانا – ما يحدث بين الوالدين من مغازلة : أو اتصال جنسى ، يعتقد الوالدان أنهما غير ملحوظين فيه ؛ لأن الأطفال – عادة – يتغافلون ، أو يتناومون فى هذه المناسبات!

س١٠ : ما الأثر الذى يترتب على معاملة الابن معاملة تختلف اختلافا تاما عن معاملة البنت؟

ج – تخطئ بعض الأسر بأن تعامل الابن معاملة تختلف اختلافا تاما عن معاملة البنت، مما يخلق الغرور فى الأبناء ويثير حفيظة البنات ، وينمى عندهن غيرة تكبت ، وتظهر أعراضها فى صور أخرى ، أو فى مستقبل حياتهن ، ككراهية الرجال عامة ، وعدم الثقة بهم ، وغير ذلك من المظاهر مما يجعل الولد أيضا معرضا للغيرة عند خروجه للحياة ، **فالحذر الحذر من التفرقة أو الموازنات!** والله يحفظ أبناءنا ويرعاهم ويسدد خطاهم إنه سميع قريب مجيب الدعاء !

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين !